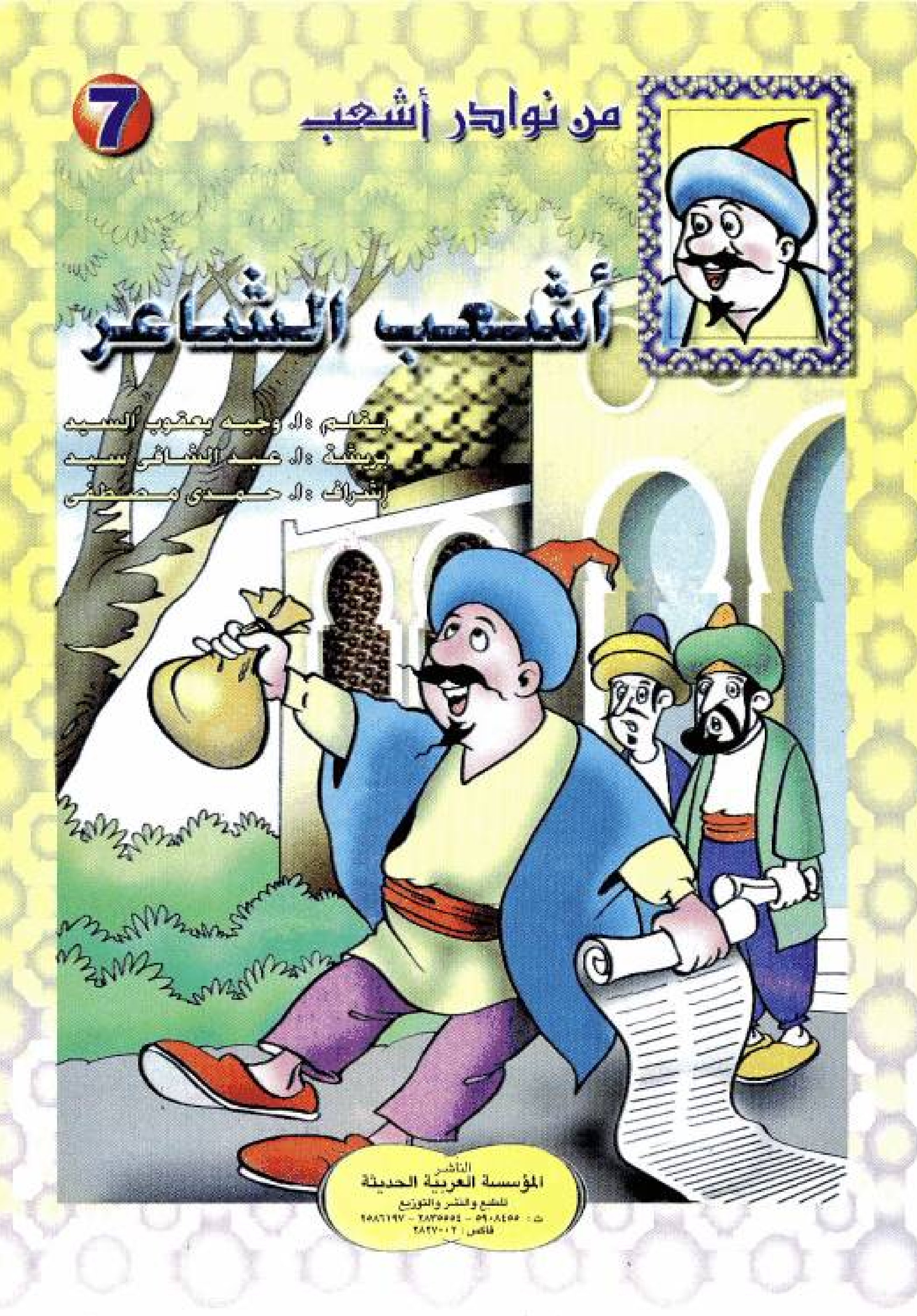

7
من نوادر أشعب
أشعب الشاعر
بقلم : أ/ وجيه يعقوب السيد
بريشة : أ/ عبد الشافي سيد
إشراف : أ/ حمدي مصطفى
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٩ - ٩٨٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٢٧٠١٢



أشْعَبُ الطَّماع
شَخْصِيَّةٌ حَقيقيَّةٌ ، اشْتهرَت بالنَّهَم
والشَّراهَةِ فى الأكْل ، يعْتَبِرُهُ البعْضُ أميرَ الطُّفَيْليِّينَ
بلا مُنَازِع ، حيْثُ يتسلَّلُ إلى كلِّ مائدَةٍ أو احْتِفالٍ أو عُرْسٍ
فيه طعامٌ ، دونَ أن يدْعُوَه أحدٌ أو ينْتظِرَ دَعْوَةً من أحدٍ .
وعلى الرَّغْمِ من كُلِّ هذا ، فقدْ كان أشْعَبُ شخصيَّةً
مَرِحةً محْبوبَةً ، تتَّسِمُ كلُّ مواقِفه بالفُكاهَةِ
والضَّحِكِ ، بسببِ ظرفه وخفَّة روحه
ومواقِفِهِ الطَّرِيفَةِ !

أشعب الشاعر

بقلم : أ. وجيه يعقوب السيد
بريشة : أ. عبد الشافى سيد
إشراف : أ. حمدى مصطفى

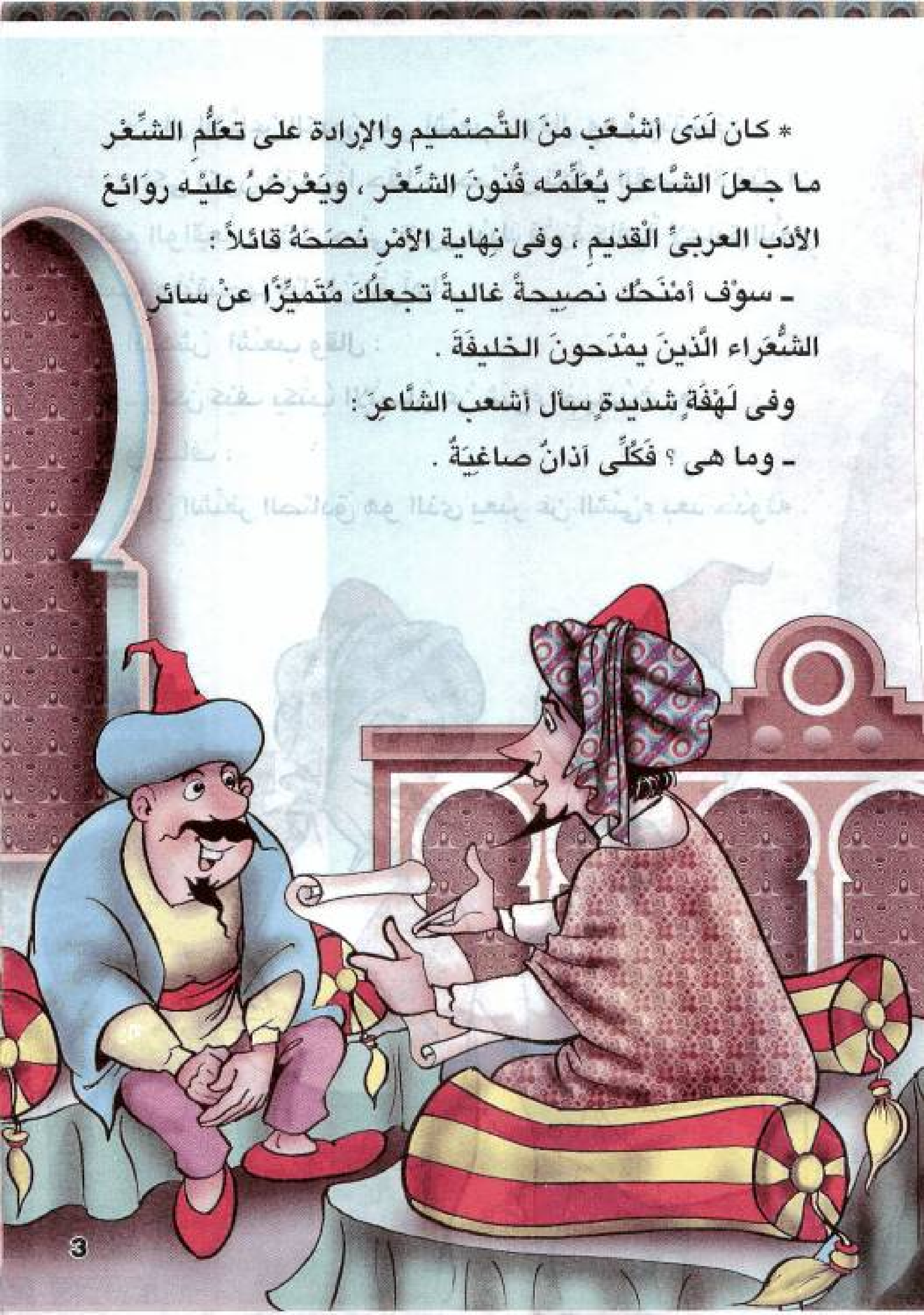
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع



* سَمِعَ أشعبُ أنَّ الخليفةَ يمْنَحُ الشُّعَراءَ جوائزَ قيِّمةً وأمْوالاً طائلة ، فتمنَّى أنْ يكْتُبَ قصيدةً يمدحُ بها الْخليفَةَ ، حتَّى يحصُلَ على هذه الجائزةِ .

ذهبَ أشْعَبُ إلى أحدِ الشُّعَراءِ الْكِبارِ وقصَّ عليْه الأمْرَ ، لكنَّ الشَّاعرَ حذَّره قائلاً :

- إنَّ الشِّعْرَ ليْس بهذه السُّهُولةِ ، وقدْ يَرْفَعُ الشِّعْرُ صاحِبَه إذا أجادَ ، وربَّما - لا قدَّر اللَّهُ - يكون سببًا في هلاكِه ، فارْضَ بِحَالك تكنْ أغْنَى النَّاس .

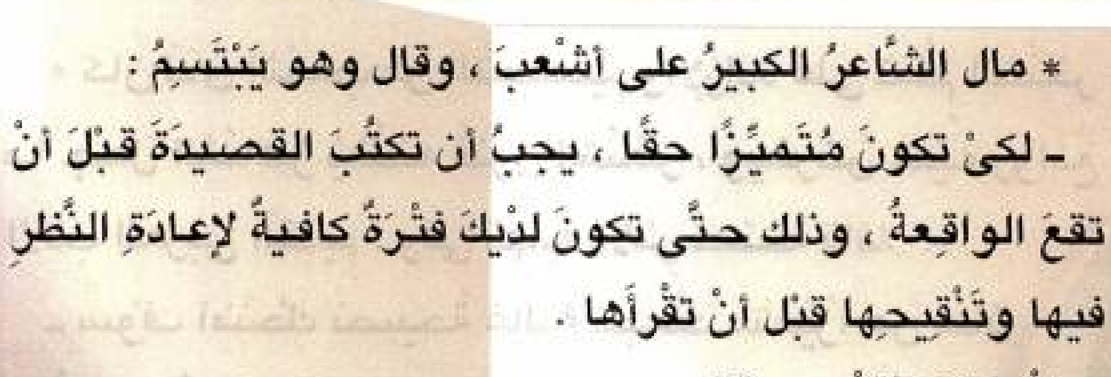


* كان لَدَى أشْعَبٍ منَ التَّصْميم والإرادة على تعلُّمِ الشِّعْر ما جعلَ الشَّاعرَ يُعلِّمُه فُنونَ الشِّعْر ، ويَعْرضُ عليْه روائعَ الأدبِ العربيِّ القديمِ ، وفي نِهاية الأمْرِ نصَحَهُ قائلاً :

ـ سوْف أمْنَحُكَ نصيحةً غاليةً تجعلُكَ مُتَميِّزًا عنْ سائر الشُّعَراء الَّذينَ يمْدَحونَ الخليفَةَ .

وفي لَهْفَةٍ شديدةٍ سأل أشعبُ الشَّاعرَ :

ـ وما هي ؟ فَكُلِّي آذانٌ صاغِيَةٌ .



* مال الشاعرُ الكبيرُ على أشْعبَ ، وقال وهو يَبْتَسِمُ :

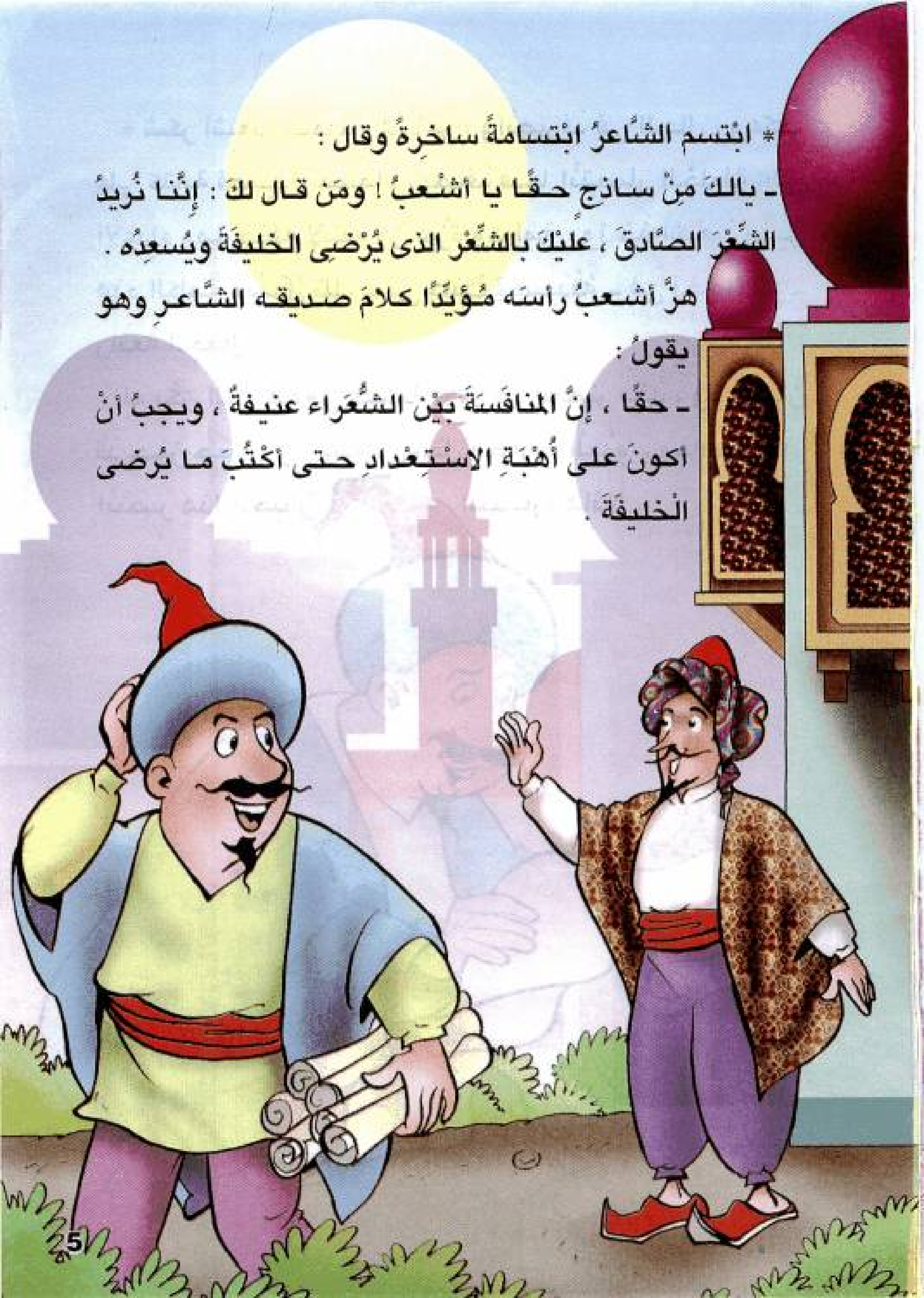
- لكيْ تكونَ مُتميِّزًا حقًا ، يجبُ أن تكتُبَ القصيدةَ قبْلَ أنْ تقعَ الواقِعةُ ، وذلك حتَّى تكونَ لدْيكَ فتْرَةٌ كافيةٌ لإعادَةِ النَّظرِ فيها وتَنْقِيحِها قبْل أنْ تقْرأَها .

انْدهشَ أشْعب وقال :

- ولكنْ كيْفَ يكتُبُ الإنْسانُ عنْ شَيْءٍ لمْ يحدُثْ بعْدُ ؟

وأضاف :

- إنَّ الشِّعْرَ الصَّادقَ هو الذى يعبِّرُ عَنِ الشَّيْءِ بعدَ حُدُوثِه .



* ابْتسم الشاعرُ ابْتسامةً ساخِرةً وقال :

- يالكَ مِنْ ساذجٍ حقًا يا أشْعبُ ! ومَن قال لكَ : إنَّنا نُريدُ الشِّعْرَ الصَّادقَ ، عليْكَ بالشِّعْر الذى يُرْضِى الخليفةَ ويُسعِدُه .

هزَّ أشعبُ رأسَه مُؤيِّدًا كلامَ صديقه الشَّاعرِ وهو يقولُ :

- حقًّا ، إنَّ المنافَسةَ بيْنَ الشُّعَراء عنيفةٌ ، ويجبُ أنْ أكونَ على أُهْبَةِ الاسْتِعْدادِ حتى أكْتُبَ ما يُرضى الْخليفةَ .

* شكر أشعبُ صديقَهُ الشاعِرَ ، وانْصرَفَ فى الحال ، وعكفَ على كِتابة قصيدةٍ عَصْمَاءَ ، يصِفُ فيها انْتِصارَ الخليفةِ على الأعْداء وما حقَّقَه لأمَّته مِنْ عِزَّةٍ وكرامَةٍ . وأخَذَ أشعَبُ يغَيِّرُ هذه الكلِمةَ ويبدلُ تلك حتَّى كانتْ قصيدتُهُ - فى آخرِ الأمْر - رائِعةَ الْجمَال .

لم يكُنِ الخليفةُ فى حقيقَةِ الأمْرِ قد انْتَصر بعْدُ ، ولكنَّهُ كان قَدْ جهزَ جَيْشَه وأرسَلَه مِنْ أجْل محارَبةِ الْعَدُوِّ ، وبالفعل فقدِ انْتَصر هذا الجيْشُ انتصارًا هائلاً .





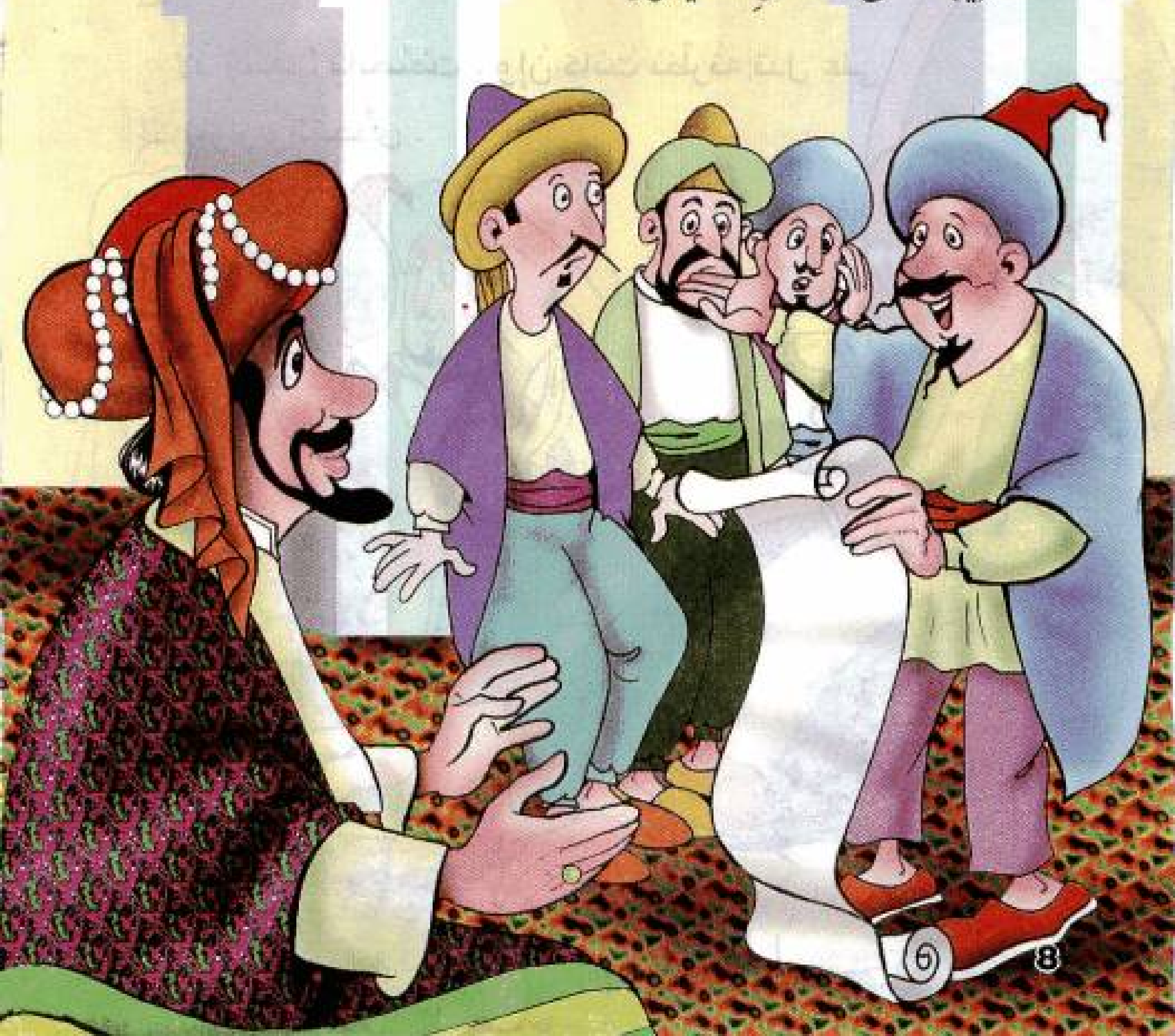
* حضرَ جُمهورُ الشُّعراء إلى قصرِ الخليفةِ لكىْ يُهَنِّئوه بهذا النَّصْرِ الساحقِ ، وكان كلُّ شاعرٍ قدْ كتبَ قصيدةً عَقِبَ سماعِهِ بهذا النَّصْرِ ..

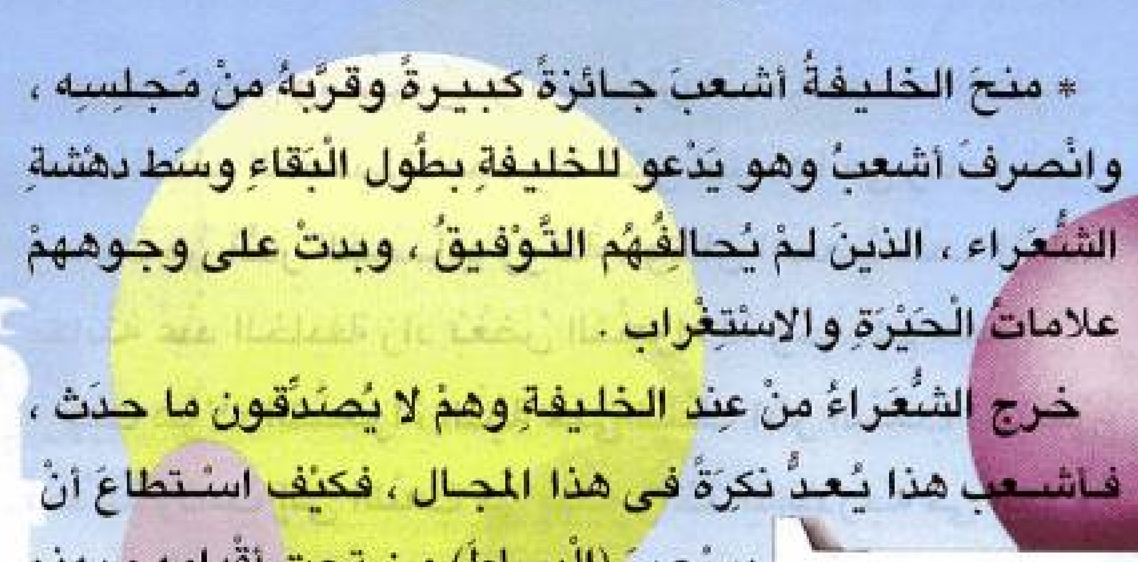
وكانتِ المفاجأةُ كبيرةً لجُمْهُورِ الشُّعراء حينما رأَوْا أشعبَ يَجْلسُ بينهمْ ، وفى نِيَّتِهِ أنْ يُنْشِدَ قصيدَتَه أمامَ الخليفةِ بمناسبةِ هذا الانْتِصارِ المُبينِ . سأل أحدُهمْ أشعبَ ساخرًا :

ـ حتى أنْتَ يا أشعبُ تكتُبُ الشِّعرَ ؟! هذا أعجبُ ما سمِعْنا بهِ !

لاذَ أشعبُ بالصَّمْتِ ، وإنْ كانتْ نظرتُه تدل على الإصْرارِ والتَّحدِّى .

* بدأ الشعراءُ يُنْشِدون قصائدهمْ أمامَ الخليفةِ واحدًا بعْدَ واحِدٍ ، لكنَّ الخليفةَ لم يكنْ سعيدًا بشعْرِهمْ ، فقدْ كانتْ معانِيهمْ مكرَّرةً وسطْحِيَّةً .. وعلى العكْسِ منْ ذلك انْتَشَى الخليفةُ وعادتْ إليْه بهْجَتُه وهو يستمعُ للْقصيدةِ التى كتبها أشْعب ، ولمْ يُخْفِ إعْجابَهُ الشديدَ بهذه الْقصيدةِ الرَّائعةِ ، التى يَبْدُو أنَّ كاتبها قدِ اهْتَمَّ بها اهْتِمامًا بالغًا ، وأقام معانِيَهَا على أحْسنِ ما يكونُ .





* منحَ الخليفةُ أشعبَ جائزةً كبيرةً وقرّبَهُ منْ مَجلِسِه ، وانصرفَ أشعبُ وهو يَدْعو للخليفةِ بطُول البَقاءِ وسَط دهْشةِ الشُعَراء ، الذينَ لمْ يُحالِفْهُم التَّوْفيقُ ، وبدتْ على وجوههمْ علاماتُ الْحَيْرَةِ والاسْتِغْراب .

خرج الشُعَراءُ منْ عِنْد الخليفةِ وهمْ لا يُصَدِّقون ما حدَث ، فأشعبَ هذا يُعدُّ نكرَةً فى هذا المجال ، فكيْف استطاعَ أنْ يسْحبَ (الْبِساطَ) من تحت أقْدامهم بهذه السُّهُولة ، واتَّفقوا فى نِهايَةِ الأمْرِ على مُراقَبة أشعبَ لِيَعْرفوا حَقيقةَ ما جَرَى !

* مَرّتِ الأيّامُ والشُّهورُ ، وأشعبُ تزْدادُ مكانَتُهُ عِنْدَ الخليفةِ ، خاصَّةً بعْدَ القصيدةِ الْجميلةِ التى أنْشَدَها فى رِثاءِ أُخْتِه ، وكانتْ مِنْ أَنْدَرِ القصائِدِ رَوْعَةً ، وكانَ أشعبُ كلَّما ازْدادتْ مكانَتُهُ عِنْدَ الخليفةِ زادَ بُغْضُ الشُّعَراءِ لهُ وحِقْدُهمْ عليْه .

بيَّتَ هؤلاءِ الشُّعَراءُ النِّيَّةَ على كَشْفِ أمْرِ أشْعبَ ، فتطوَّعَ أحدُهمْ وذهبَ إلى أشْعبَ فى بَيْتِهِ وأخذَ يستَدْرِجُه فى الكلامِ .

سألَ الشّاعرُ أشْعبَ :



- كيْفَ تستطيعُ أنْ تكتُبَ هذه القصائدَ الجيِّدةَ فى هذا الوقْت القَصير ؟!

ابْتَسمَ أشعبُ ساخرًا وقال :

- وهلْ تظنُّ أنَّنى أَكْتُبُ القَصيدةَ فى هذا الزَّمنِ القَصير ؟! إنَّنى أكتُبُ القصيدةَ قبلَ حُدُوثِ الحَادثَةِ حتَّى أكونَ جاهزًا ومستَعِدًا فى الوقْتِ المناسِب ..

انْتَبه الشَّاعرُ إلى حقيقةِ أشعبَ فأضاف قائلاً :

- فسِّرْ لى الأمْرَ أكثَر يا أشْعبُ ، فأنا لا أفْهمُ ما تَعْنيه بالضَّبْط ..



* وفى صراحة نادرةٍ أجابَ أشعبُ وهوَ يُشيرُ إلى مَجْمُوعةٍ
منَ الدَّفاترِ والأَوْرَاقِ :
- لقد كتَبْتُ قصيدةً فى رثاءِ أخْتِ الْخليفةِ قبْلَ أنْ تَمُوتَ ،
لأنَّ كلَّ حىٍّ سوْفَ يموتُ - فى يومٍ منَ الأيَّامِ .
وفى خُبْثٍ سألَ الشَّاعرُ أشعبَ :
- ولكنْ ألا تخْشَى منَ افْتِضاحِ أمْرِكَ يا أشْعبُ ؟
لم يكنْ أشعبُ هذه اللَّيْلَةَ فى كاملِ وعْيِه ، فضحكَ ساخرًا وقال :
- يا لكَ منْ ساذجٍ حقًّا ، إنَّ المناسَبَة تَحْدُثُ ، وإنْ لم تكنْ
على أتَمِّ الاستِعْدادِ لم تَستَطِعْ أنْ تنافِسَ على الجائزة !





* وأضافَ أشعبُ قائلاً :

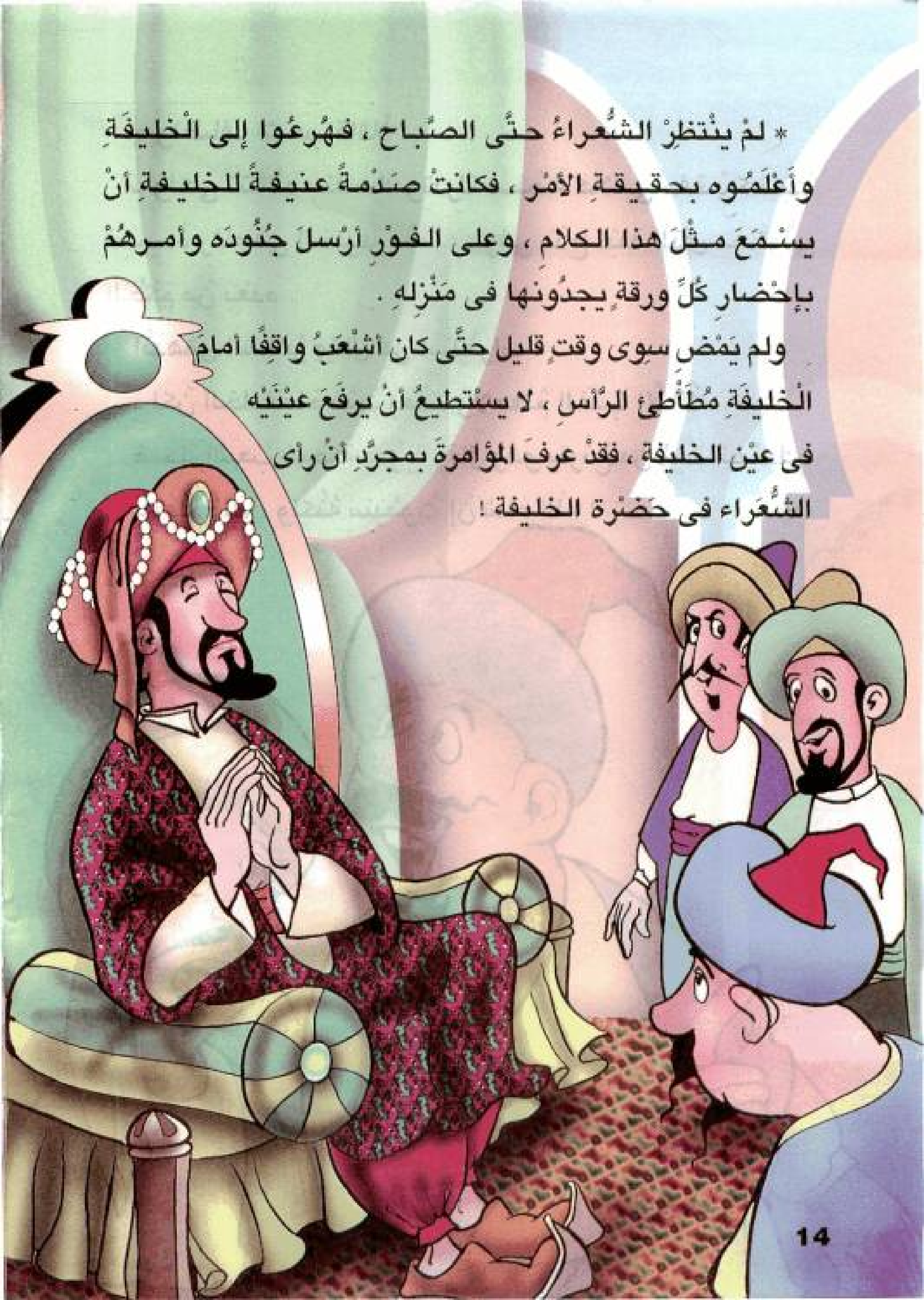
ـ ولكى تتأكَّدَ بِنفسِكَ وتدرِكَ صِحَّةَ كَلامِى ، فقدْ كتبْتُ قصيدةَ رِثاءٍ فى الخليفةِ نَفْسِه ، وفى مَدْحِ ابْنِه الذى سيتَوَلَّى الحُكْمَ مِنْ بَعْده .

انْدَهش الشَّاعرُ وقال فى استِغْراب :

ـ لكنَّ الخليفةَ لمْ يَمُتْ بعْدُ ، ولا يعلَمُ الغَيْبَ إلاَّ اللَّهُ .

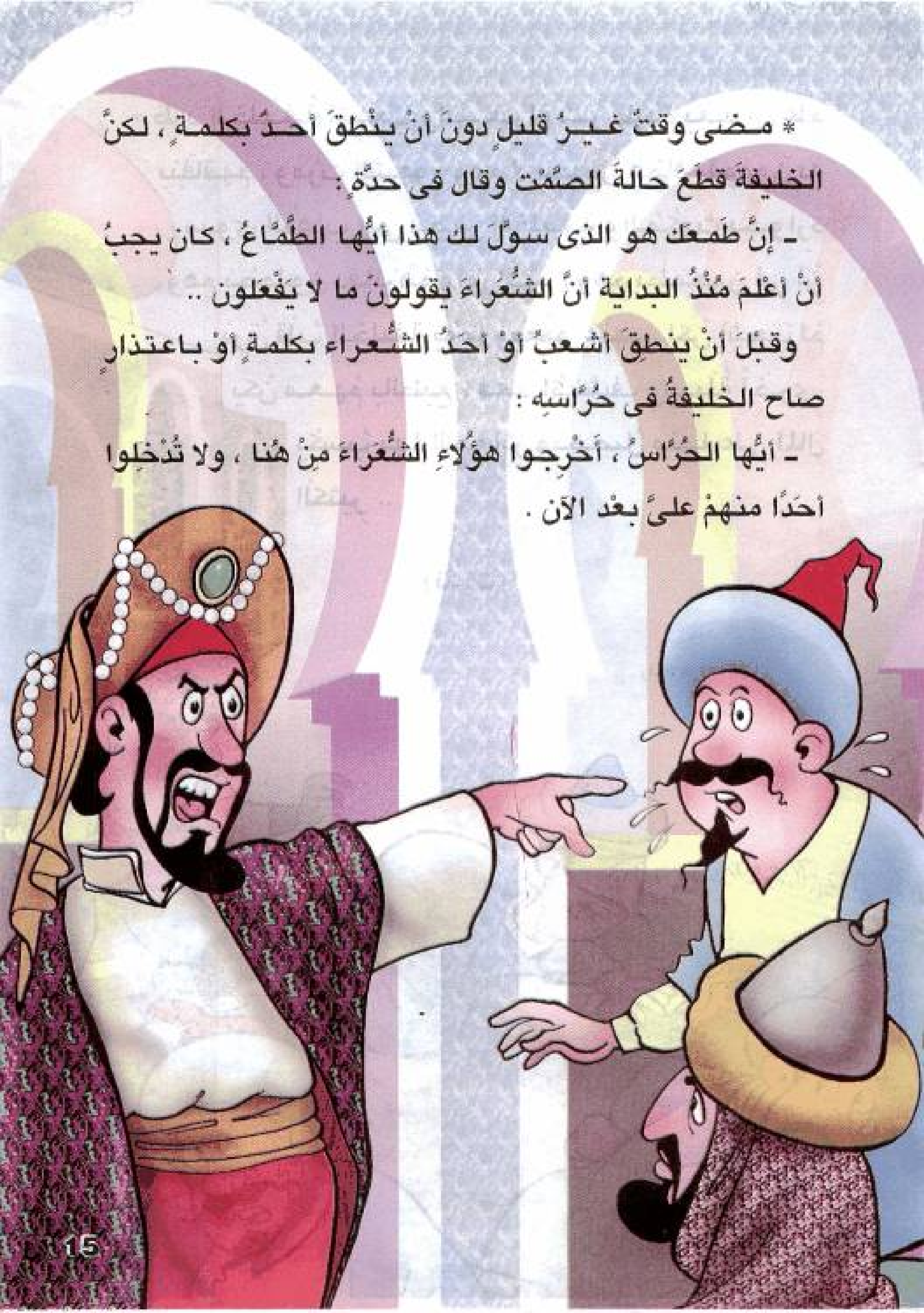
ضحِكَ أشعبُ ضِحْكَةً مُدَوِّيَةً وقال وهو يترنَّحُ منْ شِدَّةِ الضَّحِكِ :

ـ أعْلَمُ ذلك ، ولكنَّهُ سَيَمُوتُ إنْ شَاءَ اللَّه !



* لمْ ينْتظِرْ الشُعراءُ حتَّى الصَّباح ، فهُرعُوا إلى الْخليفَةِ وأَعْلَمُوه بحقيقةِ الأمْر ، فكانتْ صَدْمةً عنيفةً للخليفةِ أنْ يسْمَعَ مثْلَ هذا الكلامِ ، وعلى الفوْرِ أرْسلَ جُنُودَه وأمرهُمْ بإحْضارِ كُلِّ ورقةٍ يجدُونها فى منْزِلهِ .

ولم يَمْضِ سِوى وقتٍ قليل حتَّى كان أشْعَبُ واقِفًا أمامَ الْخليفَةِ مُطَأْطِئ الرَّأسِ ، لا يسْتطيعُ أنْ يرفعَ عيْنَيْه فى عيْنِ الخليفة ، فقدْ عرفَ المؤامرةَ بمجرَّدِ أنْ رأى الشُعَراء فى حَضْرة الخليفة !

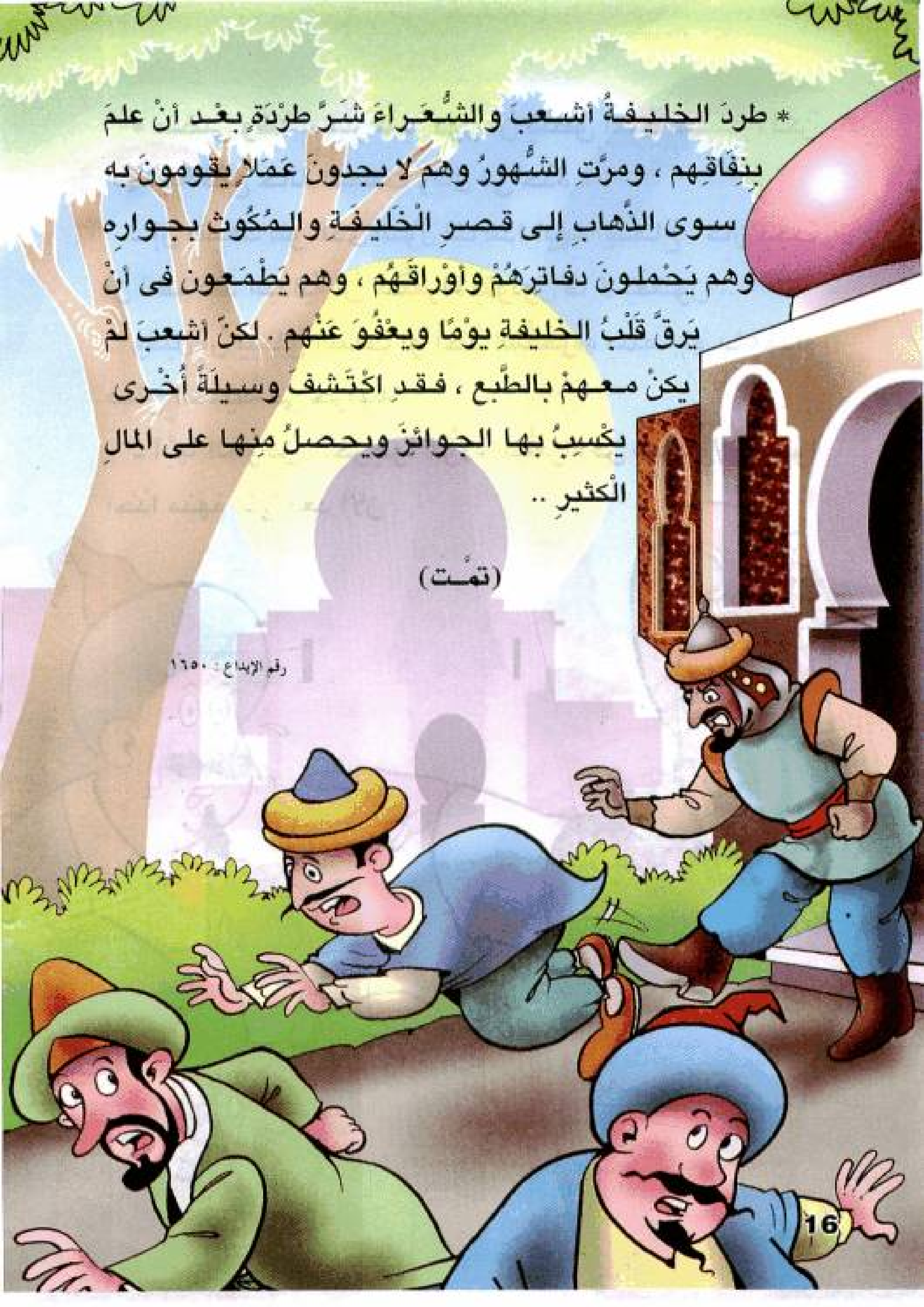


* مضى وقتٌ غيرُ قليلٍ دونَ أنْ ينْطقَ أحدٌ بكلمةٍ ، لكنَّ الخليفةَ قطعَ حالةَ الصمْت وقال فى حدَّةٍ :

- إنَّ طمعَك هو الذى سوّلَ لك هذا أيُّها الطَّمَّاعُ ، كان يجبُ أنْ أعلمَ مُنْذُ البداية أنَّ الشُّعَراءَ يقولونَ ما لا يَفْعَلون ..

وقبلَ أنْ ينطقَ أشعبُ أوْ أحدُ الشُّعراء بكلمةٍ أوْ باعتذارٍ صاح الخليفةُ فى حُرَّاسِه :

- أيُّها الحُرَّاسُ ، أخْرِجوا هؤُلاءِ الشُّعَراءَ مِنْ هُنا ، ولا تُدْخِلوا أحدًا منهمْ علىَّ بعْدَ الآن .



* طردَ الخليفةُ أشعبَ والشُّعراءَ شَرَّ طرْدَةٍ بعْد أنْ علمَ بنِفَاقِهِم ، ومرَّتِ الشُّهورُ وهم لا يجدونَ عَمَلاً يقومونَ به سوى الذَّهابِ إلى قصرِ الْخَليفَةِ والمُكُوثِ بجوارِه وهم يَحْملونَ دفاترَهُمْ وأوْراقَهُم ، وهم يَطْمَعون فى أنْ يَرِقَّ قَلْبُ الخليفةِ يومًا ويعْفُوَ عَنْهم . لكنَّ أشعبَ لمْ يكنْ معهمْ بالطَّبع ، فقدِ اكْتَشفَ وسيلَةً أُخْرى يكْسِبُ بها الجوائزَ ويحصلُ منها على المالِ الْكثيرِ ..

(تمَّت)

رقم الإيداع : ١٦٥٠